

لكن سامي يفيق الى فجيحة الواقع ، ويرى ان بحيرة الاخضرار احتلتها ننين امتص  
رحيقها ومنع ماءها عن ري الحقول فحالت الارض يبابا وماتت قدرة الينبوع على منح  
الحياة . يقول :

ايه يا بحيرة الاخضرار .. يا حديقة الوجد الزهرة .. اي امصار بدوحك مر ؟ اي ننين بنبعك يا غدائر  
العنبر سكن ! اي لبناي ... لبناي الضائعة ..

ويرتد مجددا الى الماضي السعيد عساه ينسى في دفعته مأساة واقعه . وتغدو لبنى  
هي الالهة الام الكبرى عشتروت ، وهو تموز ابنها وعروسها الذي يجسد رغبة دفينة  
تسكن لاوعى كل انسان ، بالتوق الى الام وخصابها . ويتم الانبعاث حين تنزل عشتروت  
الى العالم السفلي للبحث عن تموز بعد موته ، فتمنحه الحياة وتعود به الى العالم .  
فتكون أما تمنح الحياة ، وتكون رمزا للارض التي يتوق الانسان الى الفناء فيها ليكتسب  
بالموت حياة جديدة . من هنا كانت لبنى رمزا لارض فلسطين : فلسطين الام معطية  
الحياة ، وفلسطين العروس زوج الفارس المخلص الذي يخصب بالعشق الارض .  
والعشق صورة اخرى للموت: فكما ان ذات العاشق تفتنى في ذات المعشوق لتولّد عوالم  
جديدة ، يكتسب العائد الى رحم الارض بانحلال جسده في ترابها انبعاثا وحياة جديدة .  
وكذلك فان لبنى هي العذراء مريم — المساوية رمزيا لعشتروت — لانها تحمل في  
أحشائها مسيحا فاديا ومخلصا يزيح اسباب الظلم ويمنح الارض حياة ابدية . وليس  
ما تحمله الارض في أحشائها سوى طاقات الثورة في قلوب ابنائها ، الفرسان الابطال ،  
الذين يقتلون الننين المسيطر ويعودون بالارض الى حالتها العذنية الاولى : صبية بكرة .  
يقول :

هكذا رحلت اصلي لها بعد أن عرقتها .. لعشتروت . عشتروت الصغيرة السانجة ! عشتروت الصمامة ..  
عشتروت الام .. وعندما كانت بشهور حملها الاولى .. ( مبتسما بسعادة ) جميل ذلك .. لبنى .. ( معبرا )  
لبنى حامل ! .. ( ضاحكا ) كدت اجن .. تلك الالهة الصغيرة .. حامل .. اله صغير يلجأ برفق الي .. الي ..  
كانت تبعدني عنها خجلة .. ( راكما ) الى أن ركعت على قدميها الحافيتين تينك القدمين الجميلتين .. قدمي  
عشتروت الصغيرة .. عشتروت الام .. المبللتين بقطرات النرحة من دموع سعادتي . ( ناهضا بحماس )  
كالظل بقيت اجلس عند قدميها .. تلك الشهور من حملها .. كنت لا أفرقتها .. والدة الاله ..

وتوقظ صورة لبنى في لاوعيه صورة أمه حين كانت حبلى به ، ويفيق الى مأساة  
ولادته . ولعل سامي عاش مأساة ولادته مضاعفة : فالولادة مأساة كل انسان لانها  
انفصال عن رحم الام التي يظل الانسان تواقا الى العودة اليه ، وهي صورة اخرى  
لمسقوط الانسان من الفردوس . لكن ام سامي وضعته في المرحاض قبل موعد ولادته  
بسبب رعبها من الطائراتقاذفات القنابل . فيغدو هذا العالم كله مرحاضا ، ويكون  
الصهاينة الذين أشعلوا تلك الحرب صورة للحية الخادعة التي كانت علة سقوط  
الانسان . يقول :

لا بد وانها ليلة من الافلاس ، تلك تخضت عني ! ( بصمت .. ثم بسخرية ) هه .. في المرحاض ! مسكينة  
امي .. ألم تجد غير المرحاض تسقطني فيه ؟ ( بيأس ) يا للتعاسة ! هل ضاقت بها الدنيا ! في المرحاض !  
( بغضب ) ولكن ثمة مبرر لم يكف لها ! انها تلك الطائرات المفترسة .. انها هي التي ولدني في المرحاض ،  
وهي تلد الجنون بعينه ، مع مئات القنابل .. والتي كانت تصبها تلك الليلة على هذه المدينة .. ودون  
انقطاع ! ... ولكن .. أليس هو الافلاس بعينه ؟ افلاس العقل ! افلاس العالم من كل قيمه الاخلاقية ! بل  
افلاس الإنسانية بأسرها ! ؟ ... يا للتعاسة .. انني لا استطيع تصور ذلك ! ولكنها الحقيقة .. والبرهان  
على ذلك ، انني ولدت في المرحاض ! ( بسخرية ) الحرب .. الحرب من أجل الحياة الأفضل ! هه .. من  
أجل ان تضعني اُمي في المرحاض ! وقبل أن يحين مع ذلك موعدني ! أجل . من أجل ان تكون المرحاض مهود  
ولادة البشرية ! ولماذا ! لكي أحيا حياة أفضل !